اشـــــكاليــة
مصطلح النقد الادبي المعاصر

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي وأمينه العام

(١)

بذل الغرب جهدا كبيرا في وضع المصطلح بعد ان اتسعت العلوم ، وتنوعت الفنون ، وتقدمت الحياة . وأول المصطلحات العربية ما جاء في القرآن الكريم ، وكان لكثير منها معنى لغوي فنقلت من معناها الاول الى المعنى الجديد ، وكانت الحقيقة الشرعية من أسباب نمو اللغة وفتح باب تطور الدلالة وانتقال الالفاظ من معنى الى آخر يقتضيه الشرع ، وتتطلبه الحياة الجديدة . وكان المتكلمون اول من اهتم بالمصطلحات[١] ، وقد تحدث أبو عثمان الجاحظ (ــ ٢٥٥هـ) عن التحول الذي طرأ على الالفاظ بظهور الاسلام ، وأشار الى ترك الناس لالفاظ كثيرة ، واستحداث الفاظ جديدة[٢]. واتسعت حركة وضع المصطلحات والالفاظ باتساع الحياة وتقدم الحضارة ، وقد نجح السلف في ذلك واستطاعوا أن يستوعبوا العلوم والفنون ، ولولا ما اصاب الامة العربية من انتكاسات لظل العلماء يرفدون اللغة بكل بديع . وخيمت الغيوم على الوطن العربي قرونا وحينما اراد الله لها أن تتبدد ، بدأ العرب في أواخر القرن الماضي يبنون حاضرا مجيدا ، ويقيمون حضارة طريفة ، وكان للمجامع العلمية واللغوية والعلماء والادباء والمفكرين دور كبير في

(١) ينظر البيان والتبيين ج١ ص ١٣٩ .
(٢) ينظر الحيوان ج١ ص ٣٢٧ــ٣٣٦ ، ص ٣٧٤ــ٣٨٤ .

وضع المصطلحات ، وقد استهدى هؤلاء بوسائل كثيرة أهمها : الوضع ، والقياس ، والاشتقاق ، والترجمة ، والمجاز ، والتوليد ، والتعريب ، وهو ما استهدى به العرب الاوائل • ورفدت علوم اللغة العربية بكثير من المصطلحات الجديدة ، وصدرت المعاجم المختلفة تعرض لها وتوضحها لئلا يقع الباحثون والمتأدبون في إشكال لا تتضح سبيله ، او التباس يؤدي الى بُعْدِ الشقة بينهم • ولم يَنْسَ اولئك العلماء والادباء والمفكرون تراثهم وتراث الامم الاخرى ، فنهلوا من كل معين ، ووفقوا في وضع مصطلحات أدبية ونقدية كان لها اكبر الاثر في تقدم الحركة الادبية الحديثة • ولكن الاتجاه ــ في السنوات الاخيرة ــ بدأ يميل الى الغرب كل الميل ، وصار المؤلفون والمترجمون والنقاد يغرفون من المصطلحات الاجنبية ادعاءً او استسهالا مما أدّى الى طغيان المصطلحات الاجنبية فيما ينشر ويترجم • وبدأت الاصوات ترفع شعار « إشكالية المصطلح النقدي » وتعقد من أجله الندوات والمؤتمرات ، ولو رجع من يرفع هذا الشعار الى التراث العربي الضخم لوجد الطريق ممهدا ، ولو ادرك مسالك الغربيين وعودتهم الى التراث اليوناني والروماني لرأى السبيل واضحة للعيان • ومما ادّى الى « إشكالية المصطلح » أن بعضهم لا يعرف الظروف التي نشأ فيها المصطلح ، والاسباب التي دفعت الى وضعه ، ولم يطلع على الادب الاجنبي اطلاعا يؤهله لفهم المصطلح فهما دقيقا ، واكتفى بما يكتب عن الادب من مقالات أوقعته في الخلط والاضطراب •

إنّ إشكالية المصطلح النقدي حدثت من فوضى التأليف والترجمة ، ومما زادها خللا واضطرابا :

١ ــ اختلاف ثقافة المؤلفين والباحثين إذ هم ثلاثة انواع :

الاول : ذو ثقافة أجنبية يقرأ الادب ونقده باللغة الاجنبية •

الثاني : ذو ثقافة مضطربة يقرأ الادب الاجنبي ونقده بالعربية •

الثالث : ذو ثقافة عربية يأخذ من كل فن بطرف •

لقد أدّى هذا الاختلاف في لون الثقافة وطريق تحصيلها الى ان يأخذ من يقرأ الاجنبية مصطلحاته عن اللغة التي يعرفها فيقع الاختلاف والتفاوت كما حصل بين المغرب العربي والمشرق العربي ، أما ذو الثقافة المضطربة والمعتمد على الترجمات فأمره أكثر اضطرابا ، ومثله ذو الثقافة العربية الذي لم تتضح أمامه الرؤية ، ولم يستطع ان يوازن بين ما كان وما يفرضه الواقع الجديد . وهذان الصنفان في حيرة من الامر فهما يتأرجحان بين المصطلحات العربية والاجنبية ، ولن يكون هناك مصطلح عربي إنْ لم يتوفر عليه رجال يحملون من الثقافة العربية والثقافة الاجنبية ما يجعلهم قادرين على القول الفصل ، وصادرين عن أصالة وتفكير عميق في وضع المصطلحات .

٢ ـ اختلاف الاوربيين أنفسهم في المصطلح ونظرتهم اليه من خلال ثقافتهم الخاصة أو مذهبهم الادبي والنقدي ، ويتجلى ذلك في مصطلح « الصورة » فهي عند العرب غيرها عند الغربيين ، وهي عند الرومانسيين تمثل المشاعر والافكار الذاتية ، وعند البرناسيين تعرض الموضوعية ، وعند الرمزيين تنقل المحسوس الى عالم الوعي الباطني ، وعند السرياليين تعنى بالدلالة النفسية(٣) . وهي عند غيرهم « رسم قوامه الكلمات(٤) » وهي « اعادة انتاج عقلية ، ذكرى لتجربة عاطفية او ادراكية غابرة ليست بالضرورة بصرية »(٥) .

كيف يفهم العربي هذا التفاوت إذا لم يفهم الروح الادبية التي كانت سائدة حين ظهرت ألوان تلك الصور ؟ وكيف يحدد مصطلحها ، ويستعمله ، ويديره في كتاباته ، وهو يجهل دلالته الدقيقة ؟

---

(٣) ينظر النقد الادبي الحديث ص ٤١٧ وما بعدها .
(٤) الصورة الشعرية ص ٢١ .
(٥) نظرية الادب ص ٢٤٠ .

٣ ـ الاشتراك اللفظي في اللغة المنقول عنها واختلاف المترجمين عن اللغات المختلفة[٦] .

٤ ـ الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ودلالة المصطلح الواحد على عدة أشياء ، ومن ذلك « التضمين » ومن معانيه الاصطلاحية :

الاول : التضمين في العروض هو أن يبنى بيت على كلام يكون معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضبا ، أو هو « أن يكون الفصل الاول مفتقرا الى الفصل الثاني والبيت الاول محتاجا الى الاخير » او هو « أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها فيما بعدها » كقول الشاعر :

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيل يُغْدى بليلى العامريةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتتْ تُجاذِبُهُ ، وقد عَلِقَ الجناحُ

الثاني : التضمين هو « حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه » وهو على وجهين :

١ ـ ما كان يدل عليه الكلام دلالة الاخبار .

٢ ـ ما يدل عليه دلالة القياس .

أي : أن العبارة تتضمن المعنى من غير اشارة صريحة اليه ، وهو تضمين توجبه البنية مثل « معلوم » يوجب انه لابد من « عالم » ، وتضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلاّ به كالصفة بـ « ضارب » يدل على « مضروب » .

الثالث : التضمين هو « استعارتك الانصاف والابيات من غيرك ، وادخالك إياها في أثناء أبيات قصيدتك » .

الرابع : التضمين هو « اعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الاسماء وفي الافعال وفي الحروف »[٧] .

---

(٦) ينظر مقدمة في علم المصطلح ص ٨٢ـ٨٤ .

(٧) ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج٢ ص ٢٦٠ـ٢٦٤ .

هذه الاسباب وغيرها خلقت جـوا غير محمـود في الدراسـات الادبية والنقدية ، وجعلت بعض الدارسين يتعثرون وقد حدث هذا للقدمـاء وأدى اختلاف ثقافة الادباء والمؤلفين وحرية وضع المصطلح الى :

١ ــ تعدد المصطلح للدلالة على شيء واحد ، ومن ذلك « الالتفات » فقـد سماه ابن وهب الكاتب « الصَرْف » ، وسماه أسـامة بن منقـذ « الانصراف » ، وسماه قوم « الاعتراض »[٨] .

٢ ــ اختلاف دلالة المصطلح ، فقد ذهب قدامة بن جعفر الـى ان « المطابق » هو « ما يشترك في لفظة واحدة بعينها »[٩] مثل :

وتبْنِتِهمْ يَستنصرونَ بكاهلٍ وللؤمِ فيهم كاهلٌ وسَنامٌ

وهذا هو « التجنيس » أو « الجناس » عند البلاغيين والنقاد الاخرين .

٣ ــ اطلاق مصطلح واحد للدلالة على عدة أشياء ، ومن ذلـك مصـطلح « الاجازة » فهو : « أن تتم مصراع غيرك » وهو « أن يكون الحـرف الذي يلي حروف الروي مضموما ثم يكسر ، أو يفتح ، ويكون حـرف الروي مقيدا » وهو « أن تكون القافية طاءً ، والاخرى دالا »[١٠] .

ولكن هذا التفاوت والاختلاف لم يستمر إذ توحدت المصطلحـات البلاغية والنقدية وكـان للسـكاكي (ــ٦٢٦هـ) فضـل اسـتقرار المصطلحات إذْ « لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا الى أن محـص السكاكي زبدته وهذب مسائله ورتب أبوابه »[١١] . وسار جلال الدين القزوينـي (ــ٧٣٩هـ) على خطـاه وكـان كتـاب « التلخيـص » وشرحه « الايضاح » عمدة الدارسين في تحديـد المصـطلح البلاغي ، وتبيان معناه ، ولم يقع بعد ذلك اختلاف في فهم المصطلحات البلاغيـة

---

(٨) ينظر معجم المصطلحات ج١ ص ٢٩٦ .

(٩) نقد الشعر ص ١٨٥ ، وينظر معجم المصطلحات ج٢ ص ٥٣ وما بعدها .

(١٠) ينظر معجم المصطلحات ج١ ص ٥٠ .

(١١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

كالجناس ، والطباق ، والاستعارة ، والكناية ، أو المصطلحات النقدية كالأخذ ، والموازنة ، والسهولة ، والمصطلحات الادبية كالشعر ، والنثر ، والغزل ، والمدح ، والوصف ، وما الى ذلك من مصطلحات كثيرة زخرت بها كتب الادب والنقد والبيان . وهذا الاستقرار قد يكون غير محمود ، ولكنه ضروري بعد نضج التجارب واكتمال الدراسات ، لئلا تؤدي هلامية المصطلح الى الفوضى وتنافر الآراء وتضاربها ، وتحديد المصطلح هو من اول ما ينبغي معرفته إذ انه « اتفاق طائفة مخصوصة على امر مخصوص »(١٢) والاتفاق على المصطلح ــ ولاسيما العلمي ــ « شرط لا غنى عنه »(١٣) فشروط المصطلح :

١ ــ اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية .

٢ ــ اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الاولى .

٣ ــ وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي .

٤ ــ الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد .

ولكنْ هل اتفق الادباء والنقاد على وضع المصطلح ؟ إنّ المتتبع للحركة النقدية المعاصرة يجد الفوضى تأخذ بأطراف الباحثين والدارسين ، ويرى الاختلاف واضحا بين مشرق الوطن العربي ومغربه ، ويجد الاضطراب عند الباحث الواحد حين يستعمل المصطلح للدلالة على عدة معان ، او يستعمل عدة مصطلحات للدلالة على معنى واحد ، لانه يغرف من هنا ومن هناك ، وتتزاحم المصطلحات الروسية ، والانكليزية ، والفرنسية ، والالمانية من غير هدف إلا إظهار الاطلاع ، وهو هدف لا يخدم النقد الاصيل ، ولا البحث الادبي الرصين . ولعل الوقوف على ثلاثة مصطلحات تشيع الآن في الدراسات الادبية والنقدية ، يوضح هذه الفوضى ، وهذه الاشكالية التي قد تكون

(١٢) تاج العروس (صلح) .

(١٣) المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ٦ .

متعمدة احيانا ، وقد تكون حقيقة احيانا اخرى ، وهذه المصطلحات هي : الاسلوبية ، والشعرية والحداثة .

(٢)

عرف العرب مصطلح « الاسلوب » منذ عهد مبكر وكانت لهم فيه عدة تعريفات متقاربة[١٤] ، ولعل تعريفي عبدالقاهر الجرجاني (ـ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) وابن خلدون (ـ٨٠٨هـ) من أدق تلك التعريفات قال الاول : « الاسلوب : الضرب من النظم والطريقة فيه »[١٥] ، وقال الثاني إنه « المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه »[١٦] . ولم يخرج معظم الباحثين في النصف الاول من القرن العشرين عن هذا المعنى ، فالاسلوب « طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الالفاظ وتأليف الكلام »[١٧] إلاّ أنّ المتأخرين جاءوا بكلام آخر استمدوه من صلتهم بالنقد الاجنبي فقالوا : إنّ الاسلوب « قوام الكشف لنمط التفكير عند صاحبه »[١٨] و « الميزة النوعية للاثر الادبي » و « شرارة نوعية لا ينفذ اليها الفاحص إلاّ بطريقة الحدس ، ومن أجل ذلك يحس ولا يعبر عنه » وهو « اختيار الكاتب لما من شأنه ان يخرج بالعبارة عن حيادها ، وينقلها من درجتها الصفر الى خطاب يتميز بنفسه » أي : « أن الاسلوب رسالة انشأتها شبكة من التوزيع قائمة على مبدأ الاحتمال والتوقع »[١٩] ، وهو « صراع متواصل عنيف ضد اعتباطية الدال » أي « ان الكتابة العادية غير الكتابة الادبية حيث تستعمل الدوال مدلولات »[٢٠] .

---

(١٤) ينظر في بحثنا « الاسلوبية الى اين ؟ » هذه التعريفات ص ٢٥٨ـ٣٦٣ .
(١٥) دلائل الاعجاز ص ٤٦٨ـ٤٦٩ .
(١٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٠ .
(١٧) دفاع عن البلاغة ص ٧٠ .
(١٨) الاساوبية والاسلوب ٦٤ .
(١٩) النقد والحداثة ص ٥٤ ، ٥٨ .
(٢٠) ينظر كلام محمد الهادي الطرابلسي في مجلة فصول « المجلد ـ الخامس ـ الجزء الاول سنة ١٩٨٤ » ص ٢٢٠ .

وتعددت حدود الاسلوب وأخذت مسارات لا تلتقي في كثير من الاحيان وإنْ كانت في الاصل ترجع الى « طريقة الانسان في التعبير عن نفسه »(٢١) ؛ لانّ الاسلوب « أصعب ملكات الانسان تحديدا » ولان محتواه « واسع الى حد أنه يتفجر غبارا من الفكر المستقلة اذا اخضعناه للتحليل »(٢٢) . وكانت دراسة الاسلوب مرتبطة بالبلاغة وقواعدها المعيارية ، ولكن المتأثرين بالنقد الاجنبي حاولوا ان يفصلوا بين البلاغة والاسلوب فصلا لا تقره طبيعة اللغة وطرائقها في التعبير ، واتخذوا مصطلح « الأسلوبية » سبيلا لهم ، وذهب بهم القول فيه كل مذهب ، واختلفوا في تعريفاتهم ، فقالوا : انها « البحث عن الاسس الموضوعية لارساء علم الاسلوب »(٢٣) .

وانها « منهج لساني تقوم على البحث فيما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب اولا ، وعن أصناف الفنون الانسانية ثانيا » أي انها « وصف للنص الادبي حسب طرائق مستقاة من علم اللسان »(٢٤) .

وانها « نوع من الحوار الدائم بين القارىء والكاتب من خلال نص معين »(٢٥) .

وانها « طريقة في تحليل شكل النص ، مع الافادة من معطيات علم اللغة ــ اللسانيات »(٢٦) .

وبعض هذه التعريفات لا توضح معنى الاسلوبية ، وتحدد مداها ؛ لانها

---

(٢١) معجم مصطلحات الادب ص ٥٤٢ ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص ٢٢ .

(٢٢) في الاسلوب الادبي ص ٥ ، وينظر في فلسفة النقد ص ٩١ .

(٢٣) الاسلوبية والاسلوب ص ٣٤ .

(٢٤) النقد والحداثة ص ٥٨ .

(٢٥) دليل الدراسات الاسلوبية ص ٧ .

(٢٦) مجلة آداب المستنصرية (الجزء السادس عشر سنة ١٩٨٨) ص ٢٣٩ ، بحث الدكتور سمير شريف ستيتية الموسوم بـ (منهج التحليل اللغوي في النقد الادبي) .

انطلقت من وجهات نظر متفاوتة ، فما الاسس الموضوعية ؟ وما ذلك الحوار الدائم بين القارىء والكاتب ؟ وما تلك الطرائق المستقاة من اللسانيات ؟ هذه أسئلة لا تجد الاجوبة عنها إلا في أذهان بعضهم ، وإن كانت الحرية مجال الادب والنقد ، ولكن لا ينبغي أن تكون مطلقة لا يلتقي النقاد فيها على خيط رفيع يكون مؤشرا للباحثين ودليلا للمتلقين .

وظن بعضهم أن الاسلوبية تتضح اذا ارتبطت بالعلم ، فقيل : إنها « علم الاسلوب » ، وتعصب لها تعصبا ، ودعا الى أن تناهض المناهج القديمة وتهدمها ، لانها الوريث الشرعي للبلاغة(٢٧) . وهذا الخلاف في تحديد معنى « الاسلوبية » وموقعها في الدراسات ادى الى طريقين :

الاول : خضوع النقد للمعايير الصارمة التي ناءت بها كتب البلاغة القديمة وحفلت بها كتب التحليل اللغوي الحديث .

الثاني : الانطلاق في التحليل والافتراق بين النقاد ، وهو ما اضفى على النقد ذاتية أبعدته عن الموضوعية وجعلته كلاما ليس فيه اتفاق . وكان للابتعاد عن البلاغة العربية اثر في جفاف النقد الاسلوبي ، فقد قالوا : إن الاسلوبية وريث البلاغة ، أي انها « بديل في عصر البدائل »(٢٨) والمفهوم الاصولي للبديل « أن يتولد عن واقع معطى وريث ينفي بموجب حضوره ما كان قد تولد عنه » أي ان « الاسلوبية » امتداد للبلاغة ونفي لها في الوقت نفسه ، هي لها بمثابة حبل التواصل وخط القطيعة في الوقت نفسه ايضا »(٢٩) ولا يمكن ان تتعايشا ، لانهما تمثلان « شحنتين متنافرتين متصادمتين لا يستقيم لهما تعايش آني في تفكير أصولي موحد ، والسبب في ذلك ان الاسلوبية قامت بديلا عن البلاغة ، فهي امتداد لها ونفي ، وهي بمثابة حبل التواصل

---

(٢٧) ينظر الاساوبية والاسلوب ص ٧ ، ١٠٧ ، النقد والحداثة ص ٤٤ مجلة فصول (المجلد الخامس ـ الجزء الاول سنة ١٩٨٤) ص ٢١٦ ، ٢١٩ .

(٢٨) الاسلوبية والاسلوب ص ٤٢ .

(٢٩) الاسلوبية والاسلوب ص ٥٢ .

وحبل الفصل »[٣٠] ، وبعبارة واضحة ان البلاغة تخطاها العصر وتجاوزتها الحداثة . وهذا فهم غير دقيق للبلاغة العربية ، لانه مستمد من معطيات البلاغة الغربية التي من وظيفتها عند القدماء « انتاج نصوص حسب قواعد فن معين »[٣١] لا تحليل النصوص ، وليست البلاغة العربية كبلاغة القدماء من الاوربيين ، فهي قواعد تعلم فن القول ، وهي مقاييس نقدية ، وقد اوضح أبو هلال العسكري (ـ٣٩٥هـ) أهدافها بوضوح وقال : إنها تسعى الى تحقيق الهدف الديني وهو الوقوف على اعجاز القرآن الكريم ، والهدف التعليمي ، والهدف النقدي وهو تحليل النصوص واختيارها[٣٢] . وكان كتابا « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » لعبدالقاهر الجرجاني احسن تطبيق لهذه النظرة الواسعة ، إذ انطلق في تحليل النص الادبي من البلاغة العربية متخذا من أصولها وقواعدها مقاييس للحكم على الكلام . ومن الدراسات الغربية التي اتخذت البلاغة سبيلا لها كتاب «بنية اللغة الشعرية» لجان كوهين ، ومن الدراسات العربية التي اتخذت مسلكا بلاغيا كتاب « خصائص الاسلوب في الشوقيات » لمحمد الهادي الطرابلسي . ويتضح في هذين الكتابين اثر البلاغة في دراسة الاسلوب وتحليل النصوص تركيبا وتصويرا وتحسينا ، وهو ما يطلق عليه « النقد البلاغي » الذي يضم كل ما تعرضت له كتب النقد والبلاغة القديمة ، وكثيرا مما استجد في هذه الايام ، فيدرس الالفاظ ، وتركيب الكلام ، والتصوير ، والتحسين[٣٣] ، وهذه أصول الادب وجوهره ، وما الأسلوبية التي تفاوتت الاراء فيها ببعيدة عن هذا الاتجاه ، فهي في اوضح معانيها التحليل البلاغي للنص ، وهو تحليل يستمد من طبيعة لغة النص سماته،

---

(٣٠) النقد والحداثة ص ٥٤ ، وينظر البلاغة والاسلوبية للدكتور محمد عبدالمطلب ص ١٩١ .

(٣١) البلاغة والاسلوبية (لهنريش بليت) ص ١٦ .

(٣٢) ينظر كتاب الصناعتين ص ١ـ٣ ، مناهج بلاغية ص ٣٢ـ٣٦ .

(٣٣) ينظر بحثنا « النقد البلاغي » ص ٢٠٩ وما بعدها .

وبذلك يتضح مصطلحها ، ويكون سبيلا ينهجه كل ناقد اديب ، ودليلا لكل دارس أريب .

(٣)

الشعرية من الالفاظ التي حاول الشكلانيون الروس بعثها[٣٤] ،ولم يعرفها العرب القدماء بمعناها الحديث ، وانما ترددت عندهم ألفاظ مثل « الشاعرية » و « شعر شاعر » و « القول الشعري » و « القول غير الشعري » و « الاقاويل الشعرية »[٣٥] . وقد دخل مصطلح « الشعرية » في الدراسات الحديثة ، وهو مصدر صناعي ينحصر معناه في اتجاهين :

الاول : فن الشعر وأصوله التي تتبع للوصول الى شعر يدل على شاعرية ذات تميز وحضور . ومما قيل في الشعرية بهذا المعنى : انها تسعى الى « معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل » وهي « تبحث هذه القوانين داخل الادب ذاته »[٣٦] .

وانها « اسم لكل ماله صلة بابداع كتب أو تأليفها حيث تكون اللغة في آن واحد الجوهر والوسيلة ، لا بالعودة الى المعنى الضيق الذي يعني مجموعة من القواعد او المبادىء الجمالية ذات الصلة بالشعر » . وانها « علم الادب » اي انها تتخذ من « حيث هي علم بالادب »[٣٧] وانها « علم موضوعه الشعر »[٣٨] .

وانها موضوع « لمحاولة التقنين التي تصدى لها فن الكتاب المدعو بلاغة » وقد « عنت زمنا طويلا معايير نظم الشعر » .

---

(٣٤) ينظر الشعرية ص ٢٤ .
(٣٥) ينظر المنزع البديع ص ٤٠٦ـ٤٠٨ ، منهاج البلغاء وسراج الادباء ص ١٢٠ .
(٣٦) الشعرية ص ٢٣ .
(٣٧) الشعرية ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٨٤ .
(٣٨) بنية اللغة الشعرية ص ٩ .

وانها « علم الاسلوب الشعري » وهدفها البحث عن « الاساس الموضوعي الذي يستند اليه تصنيف نص في هذه الخانة او تلك »(٣٩) .

الثاني : الطاقة المتفجرة في الكلام ، المتميز بقدرته على الانزياح ، والتفرد ، وخلق حالة من التوتر . ومما قيل في الشعرية بهذا المعنى :

انها « خصيصة علائقية أي : تجسد في النص لشبكة من العلاقات التي تنمو بين مكونات اولية ، سمتها الاساسية ان كلا منها يمكن ان يقع في سياق آخر دون ان يكون شعريا ، لكنه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات وفي حركته المتواشجة مع مكونات اخرى لها السمة الاساسية ذاتها يتحول الى فاعلية خلق للشعرية ومؤشر على وجودها » .

وانها « اقامة حد فاصل بين الشعر واللاشعر » .

وانها « احدى وظائف الفجوة او مسافة التوتر » .

وانها « وظيفة من وظائف العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية ، وتتجلى هذه الوظيفة في علاقات التطابق المطلق ، او النسبي بين هاتين البنيتين ، فحينما يكون التطابق مطلقا تنعدم الشعرية أو تخف الى درجة الانعدام تقريبا ــ وحين تنشأ خلخلة وتغاير بين البنيتين تنبثق الشعرية ، وتتفجر في تناسب طردي مع درجة الخلخلة في النص » .

وانها « الانحراف عن التعبير »(٤٠) .

وانها « الانزياح » الذي « هو الشرط الضروري لكل شعر » .

وانها « عملية ذات وجهين متعايشين متزامنين : الانزياح ونفيه ، تكسير البنية واعادة التبنين . ولكي تحقق القصيدة شعريتها ينبغي أن تكون دلالتها مفقودة ، أو لا يتم العثور عليها وذلك كله في وعي القارئ » .

---

(٣٩) بنية اللغة الشعرية ص ١١ ، ١٤ ، ١٥ .

(٤٠) في الشعرية ص ٤ ، ١٦ ، ٢١ ، ٥٧ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

وانها « طريقة الوعي الذي يكون الشعر الاداة المفضلة فيها » أي أن ما يسمى « شعرا انما هو بالضبط تقنية لغوية من انتاج نمط من الوعي ، ولا يمكن لمشهد العالم عادة انتاج التقنية »(٤١) .

وليس من تقاطع بين الاتجاهين في فهم « الشعرية » لان كل واحد منهما يرجع الى الآخر ، فالاول هو القواعد والاصول التي ترسم الطريق للاديب ، والثاني هو نتيجة تلك الاصول ، وتجربة الاديب وقدرته على الابتكار والابداع . وليس من اليسير وضع تحديد للشعرية لانها بمعناها الحديث لاتزال في بداياتها ولانها « في تحول دائم »(٤٢) ولان معناها اختلف باختلاف النقاد والباحثين ، اذ شغلت « الفكر النقدي في العالم منذ ارسطو ، وماتزال تحتل موضعا مركزيا في أنظمة نقدية وجمالية كاملة . لقد حدد امبرتو اكو مثلا ــ غاية المنهج النقدي الذي اسسه كروتشه بانها « اقامة حد فاصل بين الشعر واللاشعر » كما شغلت مدرسة كاملة هي مدرسة الاشكاليين الروس نفسها بمحاولة اكتشاف الشعرية وتحديد شروط تكونها او واقع تبلورها(٤٣)، وحتى حين يسعى نظام نقدي معين الى بلورة مفهوم محدد للشعرية فان مثل هذا المفهوم غالبا مايكون متشكلا ضمنا في هذا النظام، ويختفي وراء التصورات والاحكام النقدية التي تصدر عنه. ومن بين الامثلة على ذلك عمل ت. س إليوت النقدي الذي لا يبلور تصورا نظريا واضحا للشعري واللاشعري بَيْدَ أنه على الرغم من ذلك يتخذ مواقف محددة من قضايا نقدية وادبية كثيرة تقوم على التمييز الفعلي الحاد بين الشعري واللاشعري »(٤٤) .

إنّ تعريف مصطلح « الشعرية » اخذ مسارات متعددة ، وبعضها غامض لا يوضح فكرة ولا يرسم سبيلا ، ولو رجع الباحثون العرب الى

(٤١) بنية اللغة الشعرية ص ٢٠ ، ١٧٣ ، ١٩٨ .

(٤٢) الشعرية ص ١٩ .

(٤٣) ينظر موقف الشكلانيين الروس من اللغة الشعرية في كتاب « نقد النقد » ص ٢٣ وما بعدها .

(٤٤) في الشعرية ص ١٦ .

تراثهم لوجدوا فيه ما يحقق الهدف ويقرب المصطلح الى الاذهان .

إنّ الشعرية ليست خاصة بأمة دون أمة فهي سمة من سمات الشعر المتميز الرائع ، وكان العرب قد حددوا هذه السمات بعمود الشعر الذي شمل « شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف — ومن اجتماع هذه الاساليب الثلاثة كثرت سوائر الامثال وشوارد الابيات — والمقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكله اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما . فهذه سبعة ابواب هي عمود الشعر ، ولكل باب معيار »(٤٥) ويتضح انهم لم يفردوا للوزن والقافية بابا لانه لا خلاف في ضرورتهما ، ولانهما دخلا في الابواب الاخرى فالوزن من « التحام اجزاء النظم والتئامها » ، والقافية من « مشاكلة اللفظ والمعنى » .

هذه هي أسس الشعرية العربية ، ومن خرج عليها كان خارجا على « طريقة العرب » . وكانت سر الخلاف في موقفهم من البحتري وابي تمام ، فالاول « أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الاوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف وكان يتجنب التعقيد ، ومستكره الالفاظ ، ووحشي الكلام » ، والثاني « شديد التكلف ، صاحب صنعة ، ويستكره الالفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه شعر الاوائل ، ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعاني المولدة »(٤٦) .

وحامت آراء النقاد على ابواب « عمود الشعر » وتنوعت ومسّت جوهر الشعرية ، وكان عبدالقاهر الجرجاني من اكثر النقاد فهما لها ، اذ انطلق في فهم الادب من النظم وهو « تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض »(٤٧) والنظم عنده هو « الاساس في الكشف عن شعرية

(٤٥) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج١ ص ٩ .
(٤٦) الموازنة ج١ ص ٦ .
(٤٧) دلائل الاعجاز — المدخل ص ٤ .

الكتابة او النص »[٤٨]، وهو في طريقة اثبات المعنى وبالنظر الى النص « بالقلب، والاستعانة بالفكر ، واعمال الروية ، ومراجعة العقل ، والاستنجاد بالفهم »[٤٩]. ويعد عبدالقاهر ادق من صاغوا « مبادىء الشعرية الكتابية فيما كان يصوغ نظرية النظم القرآني »[٥٠] ، وقد تطرق الى دراسة الالفاظ وأنكر مزيتها من حيث هي كلم مفردة ، وذهب الى ان الشعرية لا تتضح إلاّ في الكلام المركب من ألفاظ تأخذ كل واحدة منها موقعا متميزا في العبارة ودرس الوانا من صيغ بناء الكلام كالتقديم والتأخير الذي هو انزياح سياقي[٥١] ولذلك يصبح « ملمحا متميزا للشعر »[٥٢] وكالحذف الذي يذهب بالسامع كل مذهب وفيه يستطيع الاديب ان يتفنن وان يجعل من الحذف ميدانا للتخيل والتصور ، ورب حذف هو « قلادة الجيد وقاعدة التجويد »[٥٣] ومثل الحذف في الشعرية التنكير فهو يكسب العبارة « حسنا وروعة ولطف موقع لا يقادر قدره ، وتجدك تعدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الاريحية والانس الى خلافهما »[٥٤] ومثل ذلك الحال ، والتمييز ، والفصل والوصل ، والمجاز من اهم سمات الشعرية لانه يقوم على التخييل ، ويتمثل في التشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة. ومن اسباب الشعرية التي تعرض لها عبدالقاهر الكناية ، والتعريض ، والرمز ، والتلويح ، والغموض ، والتضاد الذي يخلق تناقضا بين طرفين او صورتين ، اذ هو « احد تجسدات الفجوة »[٥٥] .

---

(٤٨) الشعرية العربية ص ٤٤ .
(٤٩) دلائل الاعجاز ص ٦٤ ، وينظر الشعرية العربية ص ٤٦ .
(٥٠) الشعرية العربية ص ٤٢ .
(٥١) بنية اللغة الشعرية ص ١١٠ .
(٥٢) بنية اللغة الشعرية ص ١٨ .
(٥٣) دلائل الاعجاز ص ١٥١ .
(٥٤) دلائل الاعجاز ص ٢٨٨ .
(٥٥) في الشعرية ص ١٢٠ .

هذه بعض أسباب الشعرية ، وهي تتصل ببنية اللغة ؛ لان الشعر تشكيل لها واعادة لخلقها ، ومن هنا جاء التأمل في اللفظة وارتباطها بغيرها ، وفي التقديم والتأخير ، والحذف ، والتنكير والحال ، والتمييز ، والفصل والوصل ، والمجاز بانواعه ، والغموض ، والتضاد ، وهو ما وقف عليه المعاصرون من العرب والاجانب • ويتضح ان البلاغة من اهم وسائل دراسة الشعرية ويبدو ذلك في كتابي « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » لعبدالقاهر وفي الدراسات الحديثة ككتاب « في الشعرية » للدكتور كمال أبو ديب ، وكتاب « بنية اللغة الشعرية » لجان كوهين • ولو أخذ الباحثون والنقاد بما في البلاغة العربية من اسباب الشعرية لوجدوا خيرا كثيرا ؛ لان العرب لم يهملوا هذا الجانب وقد انطلقوا في فهم الشعر من طبيعة اللغة العربية وفن القول العربي ، فجاءوا بكل جديد بديع لا يختلف عما شاع في الدراسات الحديثة إلاّ في بعض المصطلحات والتفاصيل • وقد اوقعهم اهمالهم للتراث العربي في الغموض احيانا وفي الابتعاد عن روح اللغة العربية وفنها القولي • وما الشعرية التي اختلف فيها الباحثون كل الاختلاف إلاّ ما في الكلام من اسباب تجعله متميزا رفيعا كالتركيب ، والتصوير ، والتحسين ، وهو ما يظهر في الاسلوبية احدى وسائل تحليل النص ، فالمادة مشتركة بينهما ، وهي ما تحدث عنه البلاغيون والنقاد العرب وكشف عنه الحجاب عبدالقاهر الجرجاني(٥٦) ،وان كانت الوظيفة مختلفة فالاسلوبية تحليل يستمد من طبيعة اللغة سماته ، والشعرية هي فن الشعر واصوله ، وهي الطاقة المتفجرة في الكلام المتميز بقدرته على الانزياح •

(٤)

ان الحديث عن « الحداثة » ذو شجون لانها حداثات أو « مجموعة من الحركات »(٥٧) وليست حركة واحدة او حداثة واحدة ، وهي ليست سمة

(٥٦) ينظر بحثنا « الشعرية » ص ٤٩ وما بعدها .

(٥٧) الحداثة ص ٣٠ .

أمة أو قطر ، وانما هي سمة العالم الجديد الذي يشهد نهضة فكرية واسعة المدى ، وحركة علمية بعيدة المنحى ، وثورة عارمة تسعى الى تغيير العالم . ولفظة « الحداثة » من المصطلحات الغامضة لجدتها ، وتداخل قضاياها ، واختلاف انصارها احيانا ، ومن المصطلحات الواضحة عند بعضهم احيانا أخرى ، وقد وصفت بانها « مصطلح مراوغ »(٥٨) لم يشع الا في السنوات الاخيرة على الرغم من وجود لفظة « الحداثة » في اللغة العربية ، ففي اللسان : « الحديث نقيض القديم ، والحدوث : نقيض القدمة . حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة وأحدثه فهو محدث وحديث وكذلك استحدثه »(٥٩) . وكانت الدعوة الى الحداثة قد ظهرت في اوربة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وفرق الباحثون بينها وبين العصرية التي بدأت ممهداتها في اوربة منذ القرن السادس عشر . واستعملت مرادفة للرومانسية ، ووصفا لاجواء الادب في اوربة ، وسمة لحركة جارفة غطت الحضارة الاوربية ، وعدّها النقاد الماركسيون لونا من البرجوازية الجمالية المتأخرة النابعة من الواقعية(٦٠) والحداثة « حركة ترمي الى التجديد ودراسة النفس الانسانية من الداخل معتمدة في ذلك على وسائل فنية جديدة »(٦١) وهي « محاولة للوصول الى اسلوب فردي متميز »(٦٢) . وكثرت تعريفاتها ، ولعل بودلير اقدم من عرفها بقوله « ما اعنيه بالحداثة : هو العابر والهارب ، ونصف الفن الذي يكون نصفه الاخر هو الابدي والثابت »(٦٣) . وهو اول من صاغ نظرية لها وهي

(٥٨) الحداثة وبعض العناصر المحدثة في القصيدة العربية المعاصرة (مجلة عالم الفكر ـ الجزء الثالث ص ٦ ـ المجلد التاسع عشر سنة ١٩٨٨م) .

(٥٩) لسان العرب (حدث) .

(٦٠) الحداثة ص ٢٣ .

(٦١) الحداثة ص ٢٦ .

(٦٢) الحداثة ص ٢٩ .

(٦٣) اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة (مجلة فصول ج١ ص ١٢) وينظر مدارات نقدية ص ١٧٠ .

عنده : « مركبة شديدة التعقيد ، فهي من الناحية السلبية تدل على عالم المدن الكبيرة الذي يفيض بالعقم والقبح والخطيئة ، عالم الشوارع المسفلتة والاضواء الصناعية والاعلانات واللافتات البشعة ووحدة الانسان الضائع وسط الزحام »(٦٤) ووقف رامبو الموقف نفسه « فكلاهما يكره الحداثة ، اذا كانت تدل على التقدم المادي او التطور العلمي ، وكلاهما يتشبث بها بقدر ما تعطيه من تجارب جديدة تدفعه بخشونتها وسوادها على ان ينشيء فيها قصائد خشنة سوداء »(٦٥) . وتفاوت فهمها باختلاف تعريفاتها واتجاهات النقاد والباحثين فهي :

« ازالة الحدود الادبية التقليدية بين الاقطار » .

وهي عند بعض الامم : « ضرورة ملحة في تطوير تراثها الادبي والفني ، وعدتها بعض الامم نزوة عابرة » .

وهي : « مشكلة حضارية وجمالية في آن واحد » .

وهي : « ظاهرة تاريخية متطورة ، ظاهرة واكبتها فترات من التأزم والتألق » .

وهي : « العدمية والموقف المعادي للحضارة ، وتعني كذلك التحرر من كل ما يمت الى الحضارة بصلة » .

وهي : « تدمير كل ما يمت الى الواقعية بصلة » .

وهي : « اتجاه الى المعرفة التعددية الغامضة » واتجاه الى « تفضيل التجربة على العقل المنظم » .

وهي : «الوعي بالمستقبل » و « التحليل والتأمل » و « الهروب والخيال واطلاق العنان للاحلام » .

وهي : « اما فن العصاب ، واما السعي وراء كل ماهو مهذب ومتصنع

(٦٤) ثورة الشعر الحديث ج١ ص ٧٢ .

(٦٥) ثورة الشعر الحديث ج١ ص ١١٢ .

ولا يمت الى الطبيعة بصلة ، واما التشوق العارم الى التصوف والغموض ، واما انها العواطف غير المقيدة » .

وهي : « ازدراء التراث » وضرب « الصيغ التقليدية الراسخة في تدبر التجارب وتأملها »[٦٦] .

وهي : « نوع من التحطيم الذاتي الخلاق »[٦٧] .

وهي : « تمثل نفيا للماضي وتعلقا بالحاضر ، وخروجا من المعتاد الى غير المعتاد ، ومن المعروف الى غير المعروف »[٦٨] .

وهي : « الغاء تام للذاكرة الشعرية ، ومحاولة ابتداع ما ليس له وجود قبلي عن طريق توحد وجودي بين الارادة والشهود ، بين الحلم والتمثل »[٦٩] .

وهي : « رؤيا جديدة ، وهي جوهريا رؤيا تساؤل واحتجاج ، تساؤل حول الممكن واحتجاج على السائد ، فلحظة الحداثة هي لحظة التوتر اي التناقض والاصطدام بين البنى السائدة في المجتمع وما تتطلبه حركته العميقة التغيرية من البنى التي تستجيب لها وتتلاءم معها »[٧٠] .

وهي : « مفهوم جديد للشعر يغاير كافة المفاهيم التي عرفها التراث ، يغايرها مجتمعة لا فرادى بقدر ما يغاير القرن العشرون كافة ما سبقه من عصور في مجموعها لا كل عصر على حدة ، وهي عند الشعراء الجدد « مفهوم حضاري اولا ، هو تصور جديد تماما للكون والانسان والمجتمع »[٧١] .
وهذه التعريفات والاقوال تؤيد ان مفهوم « الحداثة » غير مستقر ، اذ تفاوت باختلاف الاتجاهات والنقاد والباحثين ، وهو تفاوت يفضي الى إشكالية فهمها

(٦٦) ينظر الحداثة ص ١٤، ٢٤، ٢٩، ٣٦، ٤٢، ٥١، ٥٧، ٧١، ١٢١، ١٥٣ .
(٦٧) مجلة فصول ج١ ص ١٤ .
(٦٨) تجليات الحداثة في التراث العربي (مجلة فصول ج١ ص ٦٤) .
(٦٩) اسئلة الشعر ص ٣٩ .
(٧٠) فاتحة لنهايات القرن ص ٣٢١ ، وتنظر مجلة عالم الفكر ج٣ ص ٢٤ .
(٧١) شعرنا الحديث الى أين ص ٨ ، ١١٤ .

فهما علميا دقيقا ، وزاد الامر تعقيدا اضطراب بعض العرب في فهمها مما جعلها بعيدة عن الاذهان في كثير من الدراسات الاخيرة ، وما ذلك إلا لان بعضهم يتمسك باتجاه او ناقد اجنبي غير ما يتمسك به الآخرون ، او يتعصب له وينفي كل مفهوم غيره ، او لا يدرك ما يكتب في الموضوع ادراكا يؤهله للخوض فيه . وهذا الاختلاف في تحديد المصطلح جعل بعضهم يرى ان ادب الحداثة هو ما جاء به الشعوبيون وغلاة الباطنية ، وما جاء به الحلوليون ودعاة التناسخ في العصر الحديث ، ودعا بعضهم الى هدم التراث ، والقيم الاجتماعية، وما جاءت به الشرائع ، والانطلاق في عالم الرذيلة وتصوير المباذل وصرع الجنون ، ولو فهم اولئك الحداثة فهما صحيحا ووقفوا منها موقفا ايجابيا لعرفوا انها افضل ما يسعى اليه الانسان ، وانها الامل الذي تعمل من اجل تحقيقه البشرية ، ولو تتبع بعض الباحثين العرب الفكر العربي لبنوا حداثة تنبع من تراثهم وواقعهم ، وتنطلق الى آفاق رحبة من الخير والعطاء . فالحداثة العربية المنشودة ينبغي ان تبنى بناء يستمد اصوله من فكر الامة ويقتبس اضاءاته من تطلعاتها لا ان تكون شطحات يمليها الخيال الفاسد ، والتصور القاصر ، والفكر الشاذ . والحداثة العربية رؤية شاملة ، واصالة صريحة ، وطموح واسع ؛ لانها تؤمن بالحياة وتجددها ، وتستمد اصولها من واقع الامة ، وتنفتح على الحضارة الانسانية وتقتبس منها ما يلائمها ، وهي مستمرة لا تقف عند مرحلة ، وانما هي سنة الحياة فلا حدود لانطلاقتها المعقولة ولا زمن لمسيرتها الظافرة ولا سمات ثابتة لها ، انها هوية المبدع الاصيل والرجل الحصيف .

إن الحداثة حركة مستمرة لا تقف عند الحدود التي رسمت لها ، وانها بناء الحاضر ، واستشراف المستقبل ، وليست نكسة او شذوذا ، وانها استلهام للماضي وليست تقديسا له ، وانها امتداد للتراث الحي وليست تقاطعا ونكرانا وتمردا عليه ، وانها اكتشاف اللغة العصرية التي تستمد اصولها من اللغة الحية وليست تحطيما لها او خروجا على اسسها ، وانها خلق للادب المعبر

عن الواقع بصوره الايجابية التي تبني الحياة وتعلي شأن الانسان ، وان الحداثة نسغ الحياة الصاعد ، وليست شجرة ميتة تبعثر اوراقها المتساقطة هوج الرياح ، وانها بعد هذا كله امل الانسان في تقدم حياته ، وازدهار حضارته ، ورفعته في هذا العالم الذي تصطرع فيه المذاهب والاتجاهات ، انها بناء الحاضر الزاهر ، وانطلاقته الى المستقبل الباهر .

هذا تحديد واضح للحداثة ، ولو التفت اليه النقاد والباحثون لوجدوا لهم سبيلا في صياغة مدلول دقيق لمصطلحها الذي ذهبوا فيه كل مذهب ، وعبر كل واحد منهم عن آرائه وسلوكه في الحياة .(٧٢)

هذه الامثلة الثلاثة مما يشيع في الدراسات الادبية والنقدية تشير الى مدى الاضطراب في وضع المصطلح وتحديد معناه ، فهناك « الاسلوبية » و « علم الاسلوب » وهناك « الشعرية » و « الادبية » وهناك « الحداثة » و « الحداثانية » ومن يدري فلعل لهذه المصطلحات الثلاثة اسماء اخرى ندّت عن المتابعة ، وهناك التفاوت العظيم في تحديدها ، والنقد وان كان فنا غير انه لابد من ان يحمل مسحة من العلم وإلاّ انفرط عقده وذهب النقاد والباحثون كل مذهب ، فالمصطلح وتحديده ضروريان ، ومن قبل قال التهانوي : « إن أكثر ما يحتاج به في العلوم المدونة والفنون المروجة الى الاساتذة هو اشتباه الاصطلاح ، فان لكل علم اصطلاحا به اذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الى الاهتداء سبيلا ولا الى فهمه دليلا »(٧٣) . إن إشكالية مصطلح النقد الادبي المعاصر تتطلب دراسة عميقة للمصطلحات وعودة الى مظانها للوقوف على معانيها ودلالاتها قبل اشاعتها في الدراسات الحديثة . ويقتضي ذلك وضع معجم نقدي حديث يسهم فيه المجمعيون والمؤلفون والمترجمون ، والادباء والنقاد ، ويتم ذلك بخطوات :

---

(٧٢) ينظر بحثنا « الحداثة » ص ١٣٦ وما بعدها .

(٧٣) كشاف اصطلاحات الفنون ج١ ص١ .

الاولى : رصد المصطلحات النقدية العربية والوقوف على دلالتها وتغيرها في العهود المختلفة ، والاخذ بما ينفع في النقد الادبي الحديث • وسيجد الباحثون كثيرا من المصطلحات التي تعينهم في نقد الشعر ، وصياغة الكلام ، وتنوع الاساليب ، وقد يظن من لا علم له بمصطلحات البلاغة والنقد عند العرب ان المصطلح النقدي يخص الشعر وحده ، وهذا وهم كبير وما جاء في « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » باجزائه الثلاثة و « معجم النقد العربي القديم » بجزءيه ، يبين ان المصطلح لم يكن خاصا بالشعر وانما شمل النثر والوانه المعروفة في ذلك العهد ، وتضمن ما يتصل باللفظ ، والصياغة ، والتصوير ، والتحسين • فمما يتصل باللفظ الكلام على اللفظة المفردة ، وجرسها وايحائها ، وما يجوز منها في الشعر وما يجوز في النثر ، وما يحسن في الاثنين • ومما يتصل بالتصوير التشبيه ، والتمثيل ، والمجاز بانواعه ـ المجاز العقلي والمجاز اللغوي (الاستعارة والمجاز المرسل) والكناية ، والتورية ، وما يرتبط بها من وسائل الايضاح ، او الابهام والغموض • ومما يتصل بالتحسين ما ادخلوه في « علم البديع » وهو محسنات لفظية ومعنوية لا يستغني عنها الكلام ، لانها تزيده روعة وجمالا اذا وضعت حيث ينبغي لها ان توضع •

فهذه المصطلحات التي ذكرتها كتب البلاغة والنقد ليست خاصة بالشعر كما يظن بعضهم ، وانما هي عامة ترفد النقد الحديث ، وتقدم للناقد المعاصر مصطلحات ، وهو يحلل ، ويقوّم ويطلق الاحكام النقدية • ولكن هل تكفي هذه المصطلحات •

الجواب : لا ، فهناك فنون استحدثت في العصر الحديث وتعاطاها العرب تقليداً او إبداعاً ، ووضعت لها مصطلحات تعبر عنها وتدل عليها ، ولابد من جمع هذه المصطلحات المستحدثة وتنسيقها والاخذ بما ينسجم وروح اللغة العربية ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة النظر فيما يستجد من مصطلحات • وهناك عدة وسائل لوضعها ، منها الاشتقاق ، والمجاز ، والترجمة ، والتوليد ، فان

تعذرت هذه الوسائل كان التعريب ــ وهو نقل الكلمة الاجنبية الى العربية على ان لا تخرج عن المنهج الذي تفوهت به العرب في التعريب ــ ويتم رصد المصطلحات النقدية في عدة مظان ، منها :

١ ــ كتب البلاغة والنقد ، وهي كثيرة مثل : قواعد الشعر لثعلب ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ، والبرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب ، وعيار الشعر لابن طباطبا العلوي ، والموازنة للآمدي ، والوساطة للقاضي الجرجاني ، وكتاب الصناعتين لابي هلال العسكري ، والعمدة لابن رشيق ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، والبديع في نقد الشعر لاسامة بن منقذ ، ومفتاح العلوم للسكاكي ، والمثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، والجامع الكبير ، والاستدراك لضياء الدين بن الاثير الجزري ، وبديع القرآن ، وتحرير التحبير لابن ابي الاصبع المصري ، ونضرة الاغريض في نصرة القريض للمظفر العلوي ، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني ، والمنزع البديع للسجلماسي ، والروض المريع لابن البناء المراكشي ، وجوهر الكنز لابن الاثير الحلبي ، والتلخيص والايضاح للخطيب القزويني وتلخيصاتهما وشروحهما ، وشرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي ، وخزانة الادب لابن حجة الحموي ، وانوار الربيع لابن معصوم المدني ، والفتح المبين في مدح الامين لعائشة الباعونية ، ونفحات الازهار على نسمات الاسحار في مدح النبي المختار لعبدالغني النابلسي ، وغيرها من كتب البلاغة والنقد ، والبديعيات وشروحها التي ذكرت كثيرا من المصطلحات •

٢ ــ كتب الادب ومنها : طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، والاغاني لابي الفرج الاصفهاني ، ويتيمة الدهر للثعالبي ، وزهر

الاداب للحصري القيرواني ، ونفح الطيب للمقري •

٣ ــ كتب اللغة المختلفة ، واهمها المعاجم •

٤ ــ كتب التفسير وعلوم القرآن مثل : معاني القرآن للفراء ، ومجاز القرآن لابي عبيدة ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، والكشاف للزمخشري ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ، والاتقان ، ومعترك الاقران للسيوطي •

٥ ــ كتب الفلاسفة المسلمين مثل : الخطابة والعبارة ، والشعر والمجموع ــ او الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر ــ لابن سينا ، وقوانين صناعة الشعراء ، وجوامع الشعر ــ او الشعر لابي نصر الفارابي ، وتلخيص كتاب ارسطو طاليس في الشعر لابن رشد •

٦ ــ كتب المصطلحات واهمها : التعريفات للسيد الشريف الجرجاني ، والكليات لابي البقاء الكفوي ، وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي الفاروقي المعروف بالتهانوي • وفي هذه الكتب كثير من المصطلحات البلاغية والنقدية ، وقد تضمنها « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » باجزائه الثلاثة ــ وفيه اكثر من الف مصطلح و « معجم النقد العربي القديم » بجزءيه ــ وفيه اكثر من ثمانمائة مصطلح ــ وبذلك تيسر الوقوف على المصطلحات وتطورها من خلال هذين الكتابين أو المعجمين •

الثانية : جرد اهم الكتب الادبية والنقدية مثل : كتب طه حسين ، واحمد حسن الزيات ، وعباس محمود العقاد ، وزكي مبارك ، ومحمد مندور ، ومحمد النويهي ، ومحمد غنيمي هلال ، واستخلاص المصطلحات النقدية التي استعملت في هذا القرن والاتفاق على مصطلح دقيق للدلالة على المعنى الجديد •

الثالثة : جرد اهم كتب مصطلحاب الادب والنقد الحديثة مثل : المصطلح في الادب الغربي للدكتور ناصر الحاني ، ومعجم مصطلحاب الادب لمجدي وهبة ، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والادب لمجدي وهبة وكامل المهندس:

والمعجم الادبي للدكتور جبور عبدالنور ، وغيرها من المعاجم الادبية والنقدية الحديثة التي ظهرت في مشرق الوطن العربي ومغربه .

الرابعة : جرد اهم كتب الفلسفة ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، والفنون ، واستخلاص المصطلحات التي تتصل بالنقد الادبي او تعين عليه . وهذه الكتب مهمة بعد ان اصبحت المعارف الانسانية متداخلة ، واصبح الادب يعتمد على الفنون التشكيلية ، ويقبس من علم النفس ، وعلم الاجتماع، والفلسفة بعض اصوله ونظرياته .

الخامسة : جرد اهم كتب الادب والنقد المترجمة مثل : نظرية الادب لاوستن وارين ورينيه ويلك ، ونظرية الادب لعدد من الباحثين السوفيت المختصين بنظرية الادب والادب العالمي ، ومناهج النقد الادبي لديفد ديتش ، وسيرة ادبية لكولردج ، والنقد الادبي ومدارسه الحديثة لستانلي هايمان ، والتجربة الخلاقة لبورا ، واسس النقد الادبي الحديث ، ونقاد الادب لجورج واتسون ، وغيرها من الكتب المهمة التي ترجمت في السنوات الاخيرة ، وهي كتب ضمت كثيرا من المصطلحات التي تنفع في وضع المعجم ، وان كان بعضها يحتاج الى اعادة النظر او التعديل .

السادسة : الاطلاع على بعض موسوعات الادب الاجنبي ونقده بلغاتها الاصلية كموسوعة كاسل للادب العالمي ، وموسوعة النقد الادبي .

السابعة : الاستعانة ببعض المعاجم الاجنبية لتحديد معنى المصطلح اللغوي ، والوقوف على دلالته كما تصورها المعاجم الاجنبية ولاسيما معجم اكسفورد الكبير .

الثامنة : تصنيف ما يجمع من التراث القديم والفكر الجديد بحسب حروف الكلمة لتسهل مراجعة المصطلح مثل : « الاخبارية ، الارجوانية ، الاسطورية ، الاسلوب الساخر ... » وهذه هي الطريقة المتبعة في وضع معاجم المصطلحات ، وقد سار عليها « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها »

و « معجم النقد العربي القديم » وغيرها من المعاجم الادبية والنقدية التي صدرت في السنوات الاخيرة •

التاسعة : تعريف المصطلح تعريفا وافيا ، والوقوف على اختلاف المذاهب الادبية في تحديده ، وذكره بلغة اجنبية واحدة او اكثر لمعرفة المقابل الاجنبي والاستفادة منه عند الترجمة او التأليف ، ويبقى المصطلح العربي الاصيل اساسا في عرض المصطلحات ولاسيما ما استقر منها واصبح اكثر دلالة من غيره •

وينبغي أن تكتب المواد باسلوب واحد ومنهج واحد ، وان تراعى فيها الدقة العلمية ، وينبغي أن يضاف الى المعجم بين حين وآخر ما يستجد من مصطلحات ، وان يعدل بعضها ليواكب الحياة الادبية المتجددة •

وليس هذا العمل بمستحيل اذ يقدر عليه عدة باحثين من ذوي النظرة الموسوعية ، والذوق السليم ، وقد ينهض به مجمع عربي او اتحاد المجامع العربية او مؤسسة ثقافية تعي قيمة هذا المشروع الجليل •

ان الشكوى من « إشكالية المصطلح » ستظل ما دام المعجم النقدي الحديث بعيدا عن التحقيق ، وسيظل الادباء ، والنقاد ، والمؤلفون والمترجمون في نقاش لا يوصل الى السبيل القويم ما داموا لا يفكرون في مثل هذا العمل الجاد الذي يفتح الطريق امامهم ، ويجعلهم يصدرون في دراساتهم وبحوثهم وترجماتهم عن منهج موحد واضح دقيق • وقد تقف امام المشروع مشكلات ، ولكن الاصرار على العمل يذلل المصاعب ، وما نظن ان ما قام به عالم في القديم يعجز عنه العلماء والادباء والنقاد في العصر الحديث •

(٦)

هذه نظرة في « إشكالية مصطلح النقد الادبي المعاصر » وقد كتبت بعد متابعة علمية طويلة وتجربة تدريسية واعية ، وهي خلاصة لمعاناة في البحث ظهرت في « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » باجزائه الثلاثة و « معجم

النقد العربي القديم » بجزءيه ، وهما معجمان اريد بهما استقراء القديم لوضع اسس ثابتة تستند اليها المعاجم الحديثة ، لان الجديد امتداد للقديم وفهم له ، ولان التجديد قتل القديم درسا ، ولن يزهر حاضر من غير ماض باهر ، ولن يشرق مستقبل من غير حاضر زاهر • وظهرت المتابعة والتجربة والمعاناة في البحوث الخمسة التي ظهرت في « المصطلح النقدي » و « النقد البلاغي » و « الاسلوبية » و « الشعرية » و « الحداثة » ويمثل البحثان الاولان تمهيدا للانطلاق الى البحوث الثلاثة الاخرى ، وهي في مصطلحات نقدية شاعت اخيرا ، ووجدت اهتماما كبيرا من الادباء ، والنقاد ، والمثقفين • وكانت الوقفة عندها علمية وان بدت فيها نزعة تريد ان تؤصل المصطلحات ، وتجعلها تنطق بواقع الثقافة العربية • ولولا تلك المتابعة والتجربة والمعاناة ما كتب هذا البحث بل ما كان الاقدام عليه ، لانه ليس سبحات تدون ورغبات تعلن ، وانما هو مسؤولية يحملها من آمن بربه وامته التي تسعى الى ان تؤم مطلع الشمس ويكون لها اثر في الحضارة الانسانية وتقدم العالم وازدهاره •

المصـــــادر :

١ ـ اسئلة الشعر ـ منير العكش بيروت ١٩٧٩م .

٢ ـ الاسلوبية الى اين ؟ الدكتور احمد مطلوب (بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ـ الجزء الثالث ـ المجلد التاسع والثلاثون ـ محرم ١٤٠٩ هـ ـ ايلول ١٩٨٨م) .

٣ ـ الاسلوبية والاسلوب ـ الدكتور عبدالسلام المسدي . الطبعة الثانية ـ تونس ١٩٨٢م .

٤ ـ البلاغة والاسلوبية ـ الدكتور محمد عبدالمطلب ـ القاهرة ١٩٨٤م .

٥ ـ البلاغة والاسلوبية ـ هنريش بليت . ترجمة الدكتور محمد العمري . الدار البيضاء ـ المغرب ١٩٨٩م .

٦ ـ بنية اللغة الشعرية ـ جان كوهين . ترجمة محمد الولي ومحمد العمري . الدار البيضاء ـ المغرب ١٩٨٦م .

٧ ـ البيان والتبيين ـ ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨ .

٨ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي .

٩ ـ ثورة الشعر الحديث ـ الدكتور عبدالغفار مكاوي . القاهرة ١٩٧٢م .

١٠ـ الحداثة ـ الدكتور احمد مطلوب (بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الثاني ـ المجلد الاربعون ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م) .

١١ ـ الحداثــة ـ تحرير مالكم برادبري وجيمس ماكفارلـن . ترجمـة مؤيد فوزي . بغداد ١٩٨٧م .

١٢ـ الحيوان ـ ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م .

١٣ـ دفاع عن البلاغة ـ احمد حسن الزيات . الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٦٧م

١٤ـ دلائل الاعجاز ـ عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق محمـود محمد شاكـر . القاهرة ١٩٨٤م .

١٥ ـ دليل الدراسات الاسلوبية ـ الدكتور جوزيف ميشال شريم . بـيروت ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

١٦ـ شرح ديوان الحماسة ـ ابو علي احمد بن محمد بن الحسـن المرزوقـي ـ تحقيق احمد امين وعبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م

١٧ـ شعرنا الحديث الى اين ؟ غالي شكري . القاهرة ١٩٦٨م .

١٨ــ الشعرية ــ الدكتور احمد مطلوب (بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ــ الجزءان الثالث والرابع ــ المجلد الاربعون ــ ١٤١٠هـ ــ ١٩٨٩م)
١٩ــ الشعرية ــ تزفيتان تودوروف ــ ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة. الدار البيضاء ــ المغرب ١٩٨٧م .
٢٠ــ الشعرية العربية ــ علي احمد سعيد (ادونيس) بيروت ١٩٨٥م .
٢١ــ الصورة الشعرية ــ سي. دي لويس . ترجمة الدكتور احمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن ابراهيم . بغداد ١٩٨٢م .
٢٢ــ فاتحة لنهايات القرن ــ علي احمد سعيد (ادونيس) بيروت ١٩٨٠م .
٢٣ــ في الاسلوب الادبي ــ علي بو ملحم بيروت ١٩٦٨م .
٢٤ــ في الشعرية ــ الدكتور كمال ابو ديب . بيروت ١٩٨٧م .
٢٥ــ في فلسفة النقد ــ الدكتور زكي نجيب محمود بيروت ــ القاهرة ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م .
٢٦ــ كتاب الصناعتين ــ ابو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م .
٢٧ــ كشاف اصطلاحات الفنون ــ محمد علي الفاروقي التهانوي . تحقيق الدكتور لطفي عبدالبديع . القاهرة ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٣م .
٢٨ــ لسان العرب ــ ابن منظور .
٢٩ــ مجلة آداب المستنصرية ــ تصدرها كلية الاداب بالجامعة المستنصرية ــ بغداد (الجزء السادس عشر ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م) .
٣٠ــ مجلة عالم الفكر ــ (الكويت الجزء الثالث المجلد التاسع عشر ١٩٨٨م) .
٣١ــ مجلة فصول ــ (القاهرة ــ الجزء الاول ــ المجلد الخامس ١٩٨٤م) .
٣٢ــ مجلة المجمع العلمي العراقي ــ بغداد :
١ ــ الجزء الثاني والثالث ــ المجلد الثامن والثلاثون . شوال ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .
٢ ــ الجزء الرابع ــ المجلد الثامن والثلاثون . ربيع الثاني ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧م .
٣ ــ الجزء الثالث ــ المجلد التاسع والثلاثون . محرم ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٨م .
٤ ــ الجزء الثاني ــ المجلد الاربعون ١٤٠٩م ــ ١٩٨٩م .
٥ ــ الجزءان الثالث والرابع ــ المجلد الاربعون ١٤١٠هـ ــ ١٩٨٩م .
٣٣ــ مدارات نقدية في اشكالية النقد والحداثة والابداع ــ فاضل ثامر . بغداد ١٩٨٧م .

٣٤ـ المصطلح النقـدي ـ الدكتور احمد مطلـوب (بحث نشر في مجلة المجمـع العلمي العراقي ـ الجزء الرابع ـ المجلد الثامن والثلاثون ـ ربيع الثانـي ١٤٠٨هـ ـ كانون الاول ١٩٨٧م) .
٣٥ـ معجم مصطلحات الادب ـ مجدي وهبة بيروت ١٩٧٤م .
٣٦ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ـ الدكتور احمد مطلوب . بغـداد ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م وما بعدهـا . والطبعـة الثانيـة ـ مكتبـة لبنان ـ بيروت ١٩٩٦م.
٣٧ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ـ مجدي وهبة وكامل المهندس بيروت ١٩٧٩م .
٣٨ـ معجم النقد العربي القديم ـ الدكتور احمد مطلوب . بغـداد ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م . والطبعة الثانية ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٩٨م .
٣٩ـ مقدمة ابن خلدون ـ عبدالرحمن بن خلدون . دار الكشاف بيروت .
٤٠ـ مقدمة في علم المصطلح ـ الدكتور علي القاسمي . بغداد ١٩٨٥م .
٤١ـ مناهج بلاغية ـ الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .
٤٢ـ المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع ـ ابو محمد القاسم السجلماسي. تحقيق علال الغازي . الرباط ـ المغرب ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م .
٤٣ـ منهاج البلغاء وسراج الادباء ـ ابو الحسن حازم القرطاجني . تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة . تونس ١٩٦٦م .
٤٤ـ الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ـ ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي. تحقيق السيد احمد صقر. القاهرة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م .
٤٥ـ نظرية الادب ـ اوستن وارين ورينيه ويليك . ترجمة محيي الدين صبحي. دمشق ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .
٤٦ـ النقد الادبي الحديث ـ الدكتور محمد غنيمي هلال . الطبعة الثالثـة . القاهرة ١٩٦٤م .
٤٧ـ النقد البلاغي ـ الدكتور احمد مطلوب (بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الثاني والثالث ـ المجلد الثامن والثلاثـون. شـوال ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
٤٨ـ نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر . تحقيق كمال مصطفى . القاهرة ١٩٦٣م.
٤٩ـ نقد النقد ـ تزفيتان تودوروف . ترجمة الدكتور سامي سويدان . الطبعة الثانية ـ بغداد ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
٥٠ ـ النقد والحداثة ـ الدكتور عبدالسلام المسدي . بيروت ١٩٨٣م .